– إننى أستعين هنا بقول شاعر عربى قديم :

اذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم.

فإذا كان لا يدرى وتركنا لحمزة البسيونى وهؤلاء الناس الغلاظ والقساة الذين تحدوا الله فى سمائه لقد كان يقول حمزة: هاتوا ربكم وأنا أضعه فى زنزانة.

* هل هناك ما يوثق مثل هذه الأقاويل.. ألا ترى أن المبالغة تصبغها؟

– هذا كلام شهدناه وسمعناه وشخصيا تعرضت لتعذيب حمزة البسيوني فى الاعتقال الثانى لى ضمن مجموعات الإخوان الذين اعتقلوا بعد حادثة المنشية فى ١٩٥٤.

حادث المنشية

* لنتوقف قليلا عند حادث المنشية هل فى رأيكم من تدبير «الإخوان المسلمين» أم محض تمثيلية كما تقول قيادات إخوانية عدة آخرها مأمون الهضيبى؟

– إننى أستطيع أن أؤكد يقينا أن «الإخوان المسلمين» كجماعة لم تدبر أو تنفذ عملية حادث المنشية انما يحتمل ان يكون قد قام بها «هنداوى وجماعته».

* أشرت إلى أنك تعرضت للتعذيب على يد حمزة البسيونى؟

– بداية أشير إلى أنه بعد حادث المنشية وقعت حملة اعتقالات ضد عناصر الإخوان المسلمين فى مطلع نوفمبر ١٩٥٤ ولكن تمكنت من الهرب والاختباء فترة من الزمن وأخذت أنتقل من مكان الى آخر وانتهى بى المطاف لدى بيت خالتى واستطاعت أجهزة الأمن أن تتعرف على مخبئى وقبضت علىّ بالفعل.. كما قبضت على خالتى وسجنت بتهمة التستر علىّ.. وظلت قضيتها مؤجلة فى القضاء حتى هدأت الأمور بعد ثلاث سنوات وحكم عليها بالبراءة.. ويوم محاكمتى أنا أنكرت بالطبع كل التهم التى نسبت الىّ كما فعل غيرى من الزملاء.

ولكن حمزة بسيونى كان يواجه هذا الانكار من أى شخص بعقاب شديد.. ووقتها كنا مجموعة من المحلة وبسيون وطنطا.. نحاكم معا.. وفى

منتصف الليل فوجئنا بمن ينادى علينا ثم أوقفونا فى طابور وأمرونا بالجرى والركض والسياط تلهبنا على مدى ساعتين.. ثم جاءنى حمزة البسيونى وطلب منى أن ألقى خطبة فقلت له: إن المجال لا يناسب ذلك فطلب منى أن أغنى فقلت له: لست مغنيا فطلب منى مرة أخرى أن أختار بينهما إما أن ألقى خطبة أو أن أغنى «غنيوة» على حد قوله.

وكان البسيونى قد حدد ثلاث فئات للعقاب تتراوح بين ١٠ و٢٠ و٥٠ كرباجا وكنت مصنفا ضمن فئة الـ ٥٠ كرباجا (فلكة) وبالفعل ضربت بالكرباج ٥٠ مرة ومازالت آثار الضرب فى ساقى.. تؤلمنى إذا ما تعرضت لأى «خبطة» فيها.

ورفع الشيخ جلبابه قليلا وأرانا بقايا الضرب لكنه لم يشأ أن يلتقط المصور صورة لها.

وذات مرة سمعت من ينادى باسمى فخرجت من زنزانتى فسألنى الشاويش المسئول عن التعذيب وأذكر أن اسمه الأول أمين فسألنى عما فعلته فنفيت له فقال لى: انت معروف لك ١٥ كرباجا فسألته: على أى أساس ويبدو أن الرجل تعاطف معى لأننى لم ارتكب ما استحق عليه الضرب بالكرباج فأبلغنى أنه سيقوم بتوجيه الضربات الى الأرض وعلى أن أصرخ مدعيا شعورى بالألم.. والمفارقة أن هذا الشاويش من أقسى مسئولى السجن ولكنه كما يبدو لم يجد مبررا حقيقيا لمعاقبتى وبالفعل حدث ما اتفقنا عليه وطلب منى بعد آخر ضربة أن أركض حافيا حتى يشعر من يتابعنى أننى غير قادر على ارتداء الحذاء من شدة الآلم.

وأخذت أسأل عن سر هذا القرار بمعاقبتى فجأة فأرجعته الى حمزة البسيونى لأنه زاره فى اليوم ذاته شقيق له اسمه عمر البسيونى يعيش فى المحلة وربما حدثه عنى وعما كنت اصنعه فى المحلة.. ولم أجد تفسيرا لهذه الحادثة سوى ذلك.. وأحسب أن تلك المعاملة القاسية تركت بصماتها فى نفوس الإخوان ومهما تحاول أن تداوى جراحاتنا فإن المرارة لا تغادرنا، وهو ما أكدته بعد ذلك محنة العام ١٩٦٥ والتى أخذت «الحابل بالنابل» وهى المحنة المرتبطة بقضية

سيد قطب رغم أن تنظيمه كان محدودا بمجرد مجموعة صغيرة من الإخوان لكن الأمن اعتقل الآلاف من عناصر الإخوان والذين اعتقلوا من قبل واستخدمت معهم من أدوات التعذيب مالم يستعمله أحد.

لماذا استمر العنف

* لماذا استمر هذا العنف الشديد بين الثورة والإخوان، معنى ذلك أن الأمر لم يكن مجرد رد فعل على أحداث معينة كحادث المنشية واستمر العنف حتى مع محدودية التنظيم فى ١٩٦٥.

– فى ذلك الوقت كان الشيوعيون قد وثبوا الى السلطة وأجهزة الاعلام والتوجيه وكان لهم بدون شك تأثيرهم وأعتقد أن ذلك حدث بعد ١٩٦١ عقب الاعلان عن القرارات الاشتراكية والبدء فى عمليات التأميم وقد بدا لنا أن الشيوعيين أصبحوا هم المتحكمين.. وأحسب أن ذلك من الأمور التى أثرت على فكر المرحوم سيد قطب..وربما استطاع الشيوعيون ان يقنعوا عبد الناصر أن الإخوان هم خطر مستمر على الثورة وإذا لم يسارع بالقضاء عليهم سيبادرون هم بالقضاء عليه «يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به».

إجهاض التجربة

* لكن ألم يكن لدى الإخوان توجه حقيقى للسيطرة على الثورة وإجهاض تجربتها خاصة أن الإخوان كان لديهم «تنظيم سرى قوى».

– إننى أرى أن الإخوان لم يكن لديهم توجه للاستيلاء على السلطة سواء فى الخمسينات أو الستينات.. كانوا يدركون أن ذلك يتطلب مقومات معينة.

* لكن بماذا تفسر وجود تنظيم سرى لدى الإخوان:

– هل يستطيع التنظيم السرى بمفردة أ ن يقلب نظاما يقوم على قوة عسكرية وبحوزته الجيش والشرطة.. ذلك لم يكن واردا فى تفكير الإخوان مطلقا فى تلك الفترة وهو ما فكر فيه تنظيم صالح سرية عندما حاول أن يسيطر

على الكلية الفنية العسكرية وغيرها من المنشآت بهدف طلب الاستيلاء على الحكم.. وهو تفكير صبيانى.

باب القصور الذاتى

* لكن الإخوان لم يحلوا تنظيمهم السرى واستمر يعمل؟

– استمر من باب القصور الذاتى يؤدى بعض الأدوار، من ضمنها التربية العسكرية والأمور الجهادية، ولكن لم يكن الهدف الاستيلاء على الحكم فذلك يتطلب شروطا معينة ربما الهدف من وجوده كان يتمثل فى الدفاع عند اللزوم إذا ماتعرضت الجماعة أو الدعوة لاعتداء.. ربما كان ذلك واردا فى حسبان القائمين علي التنظيم الخاص للاخوان..

على أى حال أقول بوضوح وصراحة: إن الصراع بين ثورة يوليو وجماعة الإخوان المسلمين.. لم يكن فى مصلحة مصر ولا من مصلحة العرب ولا من مصلحة المسلمين.. فلو أن هاتين القوتين: الثورة والإخوان اتفقتا لكان فى ذلك الخير لهذه الدوائر أو المستويات الثلاثة.

* كيف تفسر انضمام بعض العناصر القيادية فى جماعة الإخوان لثورة يوليو؟ والبعض منهم أصبح وزيرا؟

– لا أحب أن أتهم أحدا. ولكن الثورة طلبت من الإخوان ترشيح بعض الأسماء للدخول فى الوزارة الأولى فرشح الأستاذ الهضيبى وحسن عشماوى وثالثا لا أذكره لكن عبد الناصر كان يريد أسماء ذات بريق.. مثل الشيخ أحمد حسن الباقورى والشيخ محمد الغزالى ولكن الجماعة رفضت.. لذلك استقال الشيخ الباقورى من الإخوان ودخل الوزارة ثم دخل وزارات الثورة فيما بعد الدكتور عبدالعزيز كامل بعد أن خرج من السجن واستمر وزيرا للأوقاف وشئون الازهر ثم نائبا لرئيس الوزراء. كما دخل وزارات الثورة فيما بعد الدكتور أحمد كمال أبو المجد.

* هل اعتبرت قيادة الإخوان قبول هذه الشخصيات بدخول وزارات الثورة إيذانا بانفكاكهم عن الالتزام بحبل الجماعة.

– البعض اعتبره كذلك بالفعل والبعض الآخر استفاد من وجود شخص كالشيخ محمد الغزالى مسئولا فى وزارة الأوقاف والشيخ سيد سابق فقد كان الغزالى رحمه الله هو الباب المفتوح والصدر الحنون لكل صاحب مشكلة من عناصر الجماعة ولعل حكمة إلهية كانت وراء عدم اعتقاله فى ذلك الحين.

صعود رغم الصراع

* رغم الصراع بين الإخوان والثورة واصلت صعودك خلال التحاقك بكلية أصول الدين وكنت الأول على ٥٠٠ طالب من خريجى خمس كليات بجامعة الازهر ثم حصلت على شهادة تعادل الماجستير ثم حصلت على الدكتوراه ألا يشكل ذلك نوعا من التسامح من قبل الثورة تجاه عناصر الإخوان وبالذات تجاه شخص كانت له أدوار وأنشطة ضمن الجماعة واعتقل مرتين؟

– الثورة فى ذلك الوقت لم تكن تتدخل فى شئون التعليم والكليات والجامعات الى حد أن تأمر بنجاح هذا أو رسوب ذاك.. ربما حدث شيء من هذا القبيل فى فترات لاحقة، وفى الحقيقة لم تتدخل الثورة فى مسارى التعليمى ولكن تدخلت بعد ذلك فى منعى من الوصول الى حقى ففى عام ١٩٥٤ عندما حصلت على الشهادة العالمية أو إجازة التدريس وكان كما قلت ترتيبى الأول عينت مدرسا فى معاهد الازهر ثم اعتقلت وبالتالى سقط تعيينى. وبعد أن تم الافراج عنى فى ١٩٥٦ قدمت طلبا للالتحاق مدرسا بالمعاهد الأزهرية وكان اسمى أول المقبولين لأن مجموعى هو الأكبر بين المتقدمين، ولكن المباحث العامة اعترضت على اسمى والتى أصبح اسمها بعد ذلك مباحث أمن الدولة.. فمنعت من أى عمل يتصل بالجمهور سواء فى التدريس أو الوعظ أو الخطابة.. غير أنهم عندما احتاجونى أيام العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ طلبونى من قريتى وملكونى مسجدا بالزمالك بالقاهرة لأخطب فيه للمساهمة فى استنهاض الهمم ورفع الروح المعنوية وأمضيت عاما فى المسجد وبعد أن رأوا ان الناس يلتفون حولى منعت مرة أخرى.

قراءة مغايرة للصراع

* ثمة قراءة للصراع بين الثورة والإخوان تقول: انه لم يكن موقفا من الثورة ضد الإسلام.. وأن الأمر هو مجرد صراع بين مجموعتين سياسيتين كلتيهما تحاول ان تقصى الأخرى وليس صراعا بين علمانية وإسلام وشيوعية وإلحاد وإسلام كما يحاول البعض ان يفسره؟

– لقد تناولت ذلك بقدر من التفصيل فى كتاب لى بعنوان «الحلول المستوردة.. وكيف جنت على أمتنا».. وأوضحت هذا الصراع وأسسه الايديولوجية والعسكرية ونظرية القومية وذكرت ان القومية، ارتدت لباسا علمانيا وقلت انه ليس هناك ما يمنع من الايمان بالقومية العادية كالقومية العربية، فصلتها بالإسلام قوية فالعربية لسان الإسلام والعروبة وعاء الإسلام ورسول الإسلام عربى وكتاب الإسلام عربى والأرض التى انطلق منها الاسلام عربية والصحابة هم الذين نشروا الإسلام فى العالم وحفظوا لنا القرآن ورووا لنا السنن وهم من العرب.

المساجد الكبرى فى ارض العرب: المسجد الحرام – المسجد النبوى – المسجد الأقصى.. اذن الصلة بين العروبة والإسلام قوية جدا، لكن المشكلة أن القومية فى ذلك الوقت ارتدت لباسا علمانيا.. لدرجة أن البعض اعتبر القومية العربية نبوة جديدة: وقد ذكر احدهم ذلك بالفعل. وقد أشار الى ذلك بعض الغربيين عندما قالوا عنها «أديان بغير وحى» وبالتالى فإن اصحاب القومية بهذه الصيغة أرادوا أن يجعلوا منها مضادا للفكرة الإسلامية. وهنا يكمن الخطر ثم أعطوها مضمونا اشتراكيا علمانيا مستندا الى بعض أفكار الماركسية وهو ما بدا واضحا فى الميثاق الوطنى الذى وصفة البعض للأسف بأنه قرآن الثورة.. لذلك حينما وقف الشيخ محمد الغزالى فى المؤتمر القومى الذى عقد لمناقشة الميثاق فى ١٩٦٢ إن لم تخنى الذاكرة وتحدث فيه عن وجوب العودة الى التشريع الإسلامى وضرورة ان يكون لنا شخصيتنا.. تجاوب معه المشاركون فى المؤتمر وبالتصفيق الحاد.

وقد علق على ذلك الصحافى المشهور فى ذلك الوقت محمد التابعى بقوله: إننى أعجب من الذين صفقوا للشيخ الغزالى وكنت اعتقد ان الذين صفقوا له ثلاثة ارباع أعضاء المؤتمر، لكن أحدهم صحح لى ذلك بأنهم تسعة اعشار، وقد انهالت على الشيخ الغزالى بعد ذلك الشتائم من هنا وهناك ورسوم كاريكاترية انتقدته بشدة على طرحه ومنها رسوم صلاح جاهين لدرجة ان الناس هاجت ونظمت مظاهرات للدفاع عن الشيخ العزالى..

إذن القومية العربية المضمنة بالمحتوى الاشتراكى المستند الى كثير من الأفكار الماركسية هو الذى أعطى للثورة هذا الوجه الذى تتحدث عنه.

الثورة والاسلام

* مازلت أسأل.. هل كان لثورة يوليو موقف مناهض للإسلام.

– أجل.. لم يكن للثورة موقف مناهض ضد الإسلام كدين.. ولكنها اتخذت موقفا منه كشريعة.. والإسلام كما يعلم الجميع عقيدة وشريعة دين ودولة، والثورة لم ترفض الإسلام كعقيدة، لكنها رفضت الإسلام كمنهاج يصبغ الحياة العامة.

* لكن الطرح الإخوانى كان ملتصقا ببعض أدوات العنف، وبعض محاولات الاحتواء للثورة ألم يكن ممكنا أن يقدم الإخوان طرحا يستميل عقول وقلوب رجال الثورة؟

– **أولا**: لم يستخدم الإخوان العنف مع الثورة، لا قبل الحل الأول – للإخوان – فى يناير ١٩٥٤ ولا بعد ذلك، غير قضية المنشية، وهذه يشكك البعض – مثل حسن التهامى وغيره – فى مصداقياتها، واقصى ما عندى فيها انها يقينا ليست من تدبير جماعة الإخوان.

* لماذا تستبعد قيام الإخوان بحادثة المنشية؟

– لأنه لا دليل على ذلك إطلاقا.

* ألا يعد الأمر صراعا بين جماعتين كلتاها تريد الامساك بالأمور؟

– الإخوان لم يكونوا يريدون الإمساك بالأمور، لكنهم كانوا يريدون ان يكون لهم خط فى الصورة، وكثير من ضباطهم لهم دور فيها، فعبد المنعم عبد الرؤوف وهو الذى حاصر سرايا رأس التين، وعدد من ضباط الإخوان: عبدالمنعم أمين وغيره لهم دور، وتعرفون انه فى بداية الثورة حدث صدام مع بعض الضباط ذوى الاتجاه الدينى مثل رشاد مهنا ومحسن عبدالخالق.. وبدأ وجه غير مريح للثورة أول الأمر.

أقول: ان الثورة لم تقف ضد الإسلام كعقيدة، لكنها لم تقبل الإسلام كمنهاج للحياة واختارت القومية العربية بالصيغة التى ذكرتها من قبل، كأساس ايديولوجى للحياة.

* أى علمانية؟

– نعم ايديولوجية علمانية.

* دعنا نكون فى مصارحة: لقد حققت الثورة عددا من الانجازات والحقائق على الأرض – اجتماعيا وسياسيا – فيما يتعلق بالانسان المصرى: العلاج المجانى، التعليم، المساكن التى مازالت رخصية (جنيهان) حتى لو كان عليها ملاحظات، التصنيع.. هل تتعارض هذه الانجازات التى حققتها الثورة مع رؤية الاسلام، بمعنى انه هل ما انجزته الثورة على هذا الصعيد كان ضد رغبة الإخوان المسلمين، الم تكن هذه الانجازات مدخلا لتوافق الإخوان مع الثورة؟

إنجازات الثورة

– رحَّب الإخوان بمنجزات الثورة الاجتماعية هذه، وكان لهم ملاحظات اظهروها فى بعض بياناتهم، وكان لهم بيان مشهور أظهروه بعد الثورة وبه بعض نظراتهم فى الاصلاح الاجتماعى والاقتصادى.. كان أول من دعا من الإخوان الى تحديد قانون المكلية هو الشيخ محمد الغزالى فى بعض كتبه، وأعد مشروعا بذلك، وكان الأستاذ الهضيبى موافقا على ذلك مع اختلاف على كمّ الملكية، هذه الإنجازات باركها الإخوان.

* ماهو موقفك منها شخصيا؟

– أنا شخصيا أباركها وأرحب بها.

* رغم إنها أجهضت فى عصر الانفتاح؟ فلم تعد هذه الانجازات تمثل الا تاريخا؟

– أرى ان هناك مظالم حدثت فى تطبيقات هذه الانجازات الاجتماعية للثورة ففى الاصلاح الزراعى حدثت مظالم لأصحاب الأراضى الزراعية واهين الكبار فى دورهم وعوملوا معاملة ظالمة وقاسية، وبعض هذه الممتلكات استفاد منها بعض الضباط ضباط الثورة، وهذه أشياء كتبت وكشفت..

الثورة والمجانية

* اتهم ضباط الثورة بأنهم نقلوا مجوهرات أسرة محمد على وباعوها فى أوروبا، اخيرا صدر تقرير هذا الأسبوع نفى ذلك تماما وكل المجوهرات موجودة فى متحف بالاسكندرية لم يخرج منها شىء، إنها حرب من أطراف أخرى ضد ضباط الثورة.. ألم يمارس الاقطاع مع الفلاحين أسوأ من تلك المظالم قبل الثورة.. ونحن الجيل الجديد لم نتعلم الا من الثورة؟

– الاتجاه الى مجانية التعليم بدأ حقيقة قبل الثورة، فنحن نذكر كلمة طه حسين وهو وزير فى وزارة الوفد «ينبغى ان يكون التعليم كالماء والهواء». وقد وسعت الثورة الأمر، لكن الشعار كان موجودا وبدأ فعلا قبل الثورة، وما انجزته الثورة فى هذا المجال ينبغى أن يُرحب به.

وحينما أعلن جمال عبدالناصر قرار تأميم قناة السويس بعد خروجنا من السجن الحربى بشهر وقد خرجنا فى (١٦) يونيو ١٩٥٦، بعدها احتفل بعيد الجلاء وبعدها بمدة فى ٢٦ يوليو حدث هذا التأميم وتصور ان الإخوان كلهم وقفوا مع قرار التأميم، وكلنا أيدنا هذه الخطوة، وبعض الإخوان ذهب ليتطوع فى جهات التطوع المختلفة وسلموا أنفسهم لها، ونسوا جراحاتهم وآلامهم.. هذا يجب أن يذكر للاخوان. وقد ذكرت من قبل أن الإخوان أحضرونى من قريتى (صفط تراب) لأخطب فى هذا الأمر وأشعل الروح المعنوية فى الناس..

أذكر أنه بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة أى الوحدة مع سوريا، وكنت أخطب فى جامع الزمالك وجاء بعض الضباط لحضور خطبتى عقب هذه الوحدة وقالوا والله هذه كان يجب أن تسجل وتوزع على مستوى الجمهورية وكان الأستاذ محمد انس الحجاجى من الأقصر حاضرا وهو أحد أدباء الإخوان وكان متيما بحسن البنا.. وعلق قائلا: حتى تعرفوا أنه لا أحد يقوم مقام الإخوان فى مثل هذه القضايا.. ولقد وفقنى الله فى الكلام عن الوحدة وأهمية الوحدة وما قامت به فى التاريخ وما يمكن أن تقوم به فى الحاضر.

فالانجازات التى قامت بها الثورة لا ننكرها ولكن شابتها شوائب وكما ذكرتم جاء عصر الانفتاح وذهب وصار تاريخا. وبعض هذه الأشياء فيها كثير من المظالم: والله فيها ظلم كثير، بعض الناس يعيشون فى شقق فى حى جاردن سيتى والزمالك فى أرقى مناطق القاهرة بجنيهات قليلة وهى تساوى آلافا الآن..

* لقد حدث تعديل الآن فى هذا القانون المتعلق بايجارات المساكن القديمة؟

– كان هناك أسر تعيش من هذا الدخل، وربما كان دخل هذه المساكن لا يساوى دخل البواب القائم على هذه العمارة.

هل انتهت ثورة يوليو؟

* يقول بعضهم ان الثورة قد انتهت بموت عبدالناصر، لكن شرعيتها مازالت مستمرة ومنها تستمد الأنظمة والحكومات المختلفة فى مصر شرعيتها. ماهى رؤيتكم؟

– مازلت أرى أن ثورة ٢٣ يوليو هى التى تحكم مصر الى الآن، وهذا هو الواقع من خلال المبادئ ومن خلال الامتداد والايدلوجيا العلمانية.

ولكن لى كتاب يظهر قريبا قسمت فيه العلمانية الى مستويين: علمانية قريبة ومعتدلة وعلمانية متطرفة، فعلمانية مصر ليست من النوع المتطرف، وذكرت نموذجين للعلمانية المتطرفة: نموذج تركيا ونموذج تونس، لكن العلمانية فى مصر ليست من هذا النوع الذى يرفض الاسلام، فيعتبر الصلاة كأنها جريمة

كما فى تركيا، والحجاب جريمة، والاخت التى تلبس الحجاب لايجوز لها ان تدخل المدرسة أو الوظيفة الحكومية أو أى وظيفة من وظائف القطاع العام، أو تدخل المستشفى للعلاج أو الولادة وهذا لا يوجد فى مصر، ففيها نوع من العلمانية، لكنها ليست العلمانية المتطرفة المغالية فى بعض البلاد.

* مع تولى السادات السلطة حدث توافق بين النظام فى مصر وجماعة الإخوان المسلمين، هل كان ذلك رد فعل لموت عبدالناصر؟

– أعتقد أن السادات أراد أن يتجه وجهة جديدة تظهر تميز شخصيته وسياسته عمن سبقه، فبدأ يتيح الفرصة للجماعات الاسلامية.

* هل هى إتاحة فرصة أم تحالف حقيقى؟

– لا. لم يكن هناك تحالف، وكل ما فى الأمر أنه لم يُضيّق عليهم، ترك لهم الحرية في التعبير والبعض يقول ان السادات هو الذى صنع الصحوة الإسلامية، وهذا غلط كل ما صنعه هو أنه ترك لهم الفرصة كما كانت متروكة للعلمانيين، وللشيوعيين وللقوميين، وللفئات المختلفة.. والإسلام اذا تركت له الحرية، فلاشك انه يسبق ويتفوق ويمتلك الساحة لأنه هو التيار الوحيد المعبر عن ضمير الأمة، نحن فى مصر خاصة وأكثر البلاد العربية والإسلامية: الدين هو جوهر الحياة، وهو المحرك الأول للناس، وهو المتجاوب مع فطرة الشعب، ولذلك حينما تتهيأ له الفرصة يتجاوب الناس معه، وقد جربنا هذا: ففى حرب ١٩٦٧ كانوا يقولون الاشتراكية والثورية، ومثل ذلك، وفى حرب ١٩٧٣ أو (١٣٩٣ كما أفضل) فى العاشر من رمضان وليس (٦ اكتوبر ٧٣) كان الشعار الله أكبر، وحينما هبّت نفحات رمضان على الجنود المصريين صنعوا الأعاجيب فى القناة واقتحموا خط بارليف وأبطلوا القوة التى لا تقهر قوة «إسرائيل» فالدين أساس فى هذه الحياة.

أقول: لانريد معونة من حاكم، لكن كل ما نريده هو إتاحة الفرصة، فالمعركة بين الحركه الإسلامية والحكومات هى أن الحكومات لاتريد أن تعطيها الفرصة.

عنف الحركة الإسلامية

* لكن هذه الحركة الاسلامية تستخدم العنف أحيانا فى حوارها مع السلطة، فالسلطة هنا لابد ان تثبت وجودها، حيث تفكر الحركة الاسلامية وتظن أن بمقدرتها التغلب على الدولة الحديثة؟

– أى عنف فى الحوار؟

* هناك ممارسات خاطئة تمت لبعض هذه الجماعات واستخدمت الجنازير فى الصراعات بين بعضهم بعضا فى الجامعات.

– هذا تيار آخر.. ليس هو تيار الإخوان..

* فى رأيكم: هل استخدم السادات الجماعات الاسلامية بالفعل فى حربه ضد الناصريين والشيوعيين، وكانت هناك مساجلات بين محمد عثمان اسماعيل محافظ اسيوط السابق وآخرين حول دوره فى انشاء هذه الجماعات؟

– هذه الجماعات تشكلت تشكلا طبيعيا حينما أتيحت الفرصة، ولم تكن هناك جماعة رسمية ينضم إليها هؤلاء الشباب، فبدأ هؤلاء الشباب فى الجامعات ينشئون هذه الجماعات وكانت مفصولة تماما عن الإخوان حقيقة، وعن أى تيار تنظيمى؟

* إذاً، الجماعات الإسلامية ليست من عباءة الإخوان كما شاع؟

– أبدا فى أول أمرهم لم يكونوا من عباءة الإخوان، هذه الجماعات نشأت نشأة تلقائية، وربما كان للاخوان تأثير فيهم، كانوا فى فترة من الفترات ليس لهم ارتباط تنظيمى بالإخوان، لأننى عاصرت ذلك، وكان يغلب على هذه الجماعات تيار التشدد فى أول الأمر، ومازال الدعاة المعتدلون ومنهم شيخنا الشيخ الغزالى، رحمه الله والفقير الى ربه – يعنى الشيخ القرضاوى نفسه – كنا من المتابعين لهؤلاء الشباب فى الجامعات، نحضر مخيماتهم، ونلقى فيها المحاضرات، ويزورونا فى البيوت..

كان تيار التطرف والتشدد يغلب عليهم أول الأمر، فمازلنا بهم حتى تحولوا الى تيار الاعتدال وأصبح التيار المعتدل هو الغالب على هذه الجماعات الاسلامية، خصوصا الفئات الأولى منهم: عصام العريان، عبدالمنعم أبو الفتوح، حلمى الجزار.

أذكر أنه فى فترة من الفترات كان هؤلاء الشباب يتساءلون: هل من المصلحة ان ننتمى الى جماعة الإخوان أم نبقى هكذا.

* بم كنت تشير عليهم؟

– والله اقول لك بصراحة إننى كنت أول الأمر أميل الى أن يبقوا تيارا عاما عائما وليس ملتزما بتنظيم لا يمكن ضبطه أو القضاء عليه بسهولة.

* وحتى لا يجهض!

– نعم.. لكنهم هم أنفسهم رأوا أن هناك منعطفات فى طريقهم، وخشوا أن هذه المنعطفات تضيعهم، لأن الشاب يأتى له منعطف الوظيفة. ومنعطف التجنيد بالجيش، وعندما يتزوج.. فتتفك الصلة بالشاب.. قالوا: نحن فى حاجة إلى إطار يضبط هؤلاء الشباب حتى لا يتفلتوا.. حيث لم يعد هناك اتصال بين هؤلاء الشباب بعد تخرجهم.. فقد رأوا أن الانضمام إلى جماعة منظمة يكون أضبط لأمرهم وادعى الى الاستمرار، لأن الخشية ان يظل الشاب شعلة من الحماس مادام طالبا فى الجامعة، ثم تنطفىء هذه الشعلة بعد التجنيد أو التخرج أو الزواج لذلك انتهوا بالانضمام إلى تنظيم الإخوان – وهذا بالنسبة للأكثرية من هؤلاء الشباب، والإخوان شجعوهم على تيار الاعتدال، فالإخوان حقيقة بعد أن خرجوا من السجون أيام السادات تركوا مسألة العنف تماما، واتجهوا إلى تيار التثقيف والتربية والتوجيه والتغيير السلمى فى المجتمع، ولم يعرف عنهم حادثة واحدة من ذلك الوقت أنهم استعملوا العنف أو شاركوا فى حادثة من حوادث العنف وهذا للتاريخ.

عنف الإخوان والجماعات

* إذا كانوا حسب قولكم قد تركوا العنف منذ خرجوا من السجون أيام السادات فهل يعنى ذلك أن تاريخهم قبل ذلك قد اتصل بدائرة العنف؟

– أقول لكم بصراحة: الإخوان لم يكونوا من دعاة العنف فى وقت من الأوقات، العنف الذى عرفت به جماعة الجهاد أو الجماعة الاسلامية أو الجماعات المسلحة فى الجزائر: لم يكن هذا شأن الإخوان فى وقت من الأوقات، ما هو العنف الذى اتهم به الإخوان؟ بعض حوادث كانت ضد الوجود اليهودى فى القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية..

* هذا عمل و طنى.. لكن قتل النفراشى ألا يعد عملا متصلا بالعنف؟

– نعم، وقتل النقراشى كان رد فعل لحل الإخوان؟

* هل كان تصرفا فرديا أم بأمر من قيادة الجماعة؟

– ثبت فى التحقيق انه كان عملا فرديا – عبدالمجيد حسين وعدد معه، فالإخوان غير مسئولة عن هذا العمل بصورة طبيعية لأنها لم تكن موجودة رسميا، فلا يجوز لا قانونا ولا شرعا أن تحمّل جماعة – أنت قمت بحلها.

* وماذا عن قضية قتل الخازندار فى رأيكم؟

– هذه قضية ثبت بتأكيد ويقين أنها عملت بغير رأى الأستاذ البنا، وأنه أنكرها بعد حدوثها، وكانت الحادثة من رأى عبد الرحمن السندى رئيس التنظيم الخاص فى ذلك الوقت، ومما يدل على هذا أن الإخوان حوكموا محاكمات عسكرية ظالمة وحكم عليهم بأقصى أنواع الأحكام فى عهد الثورة أكثر من مرة، ومع ذلك لم يفكروا فى أن ينتقموا من هؤلاء القضاة، حتى القضاة العسكريين.. فلم يفكر الإخوان فى قتل حسين الشافعى أو أنور السادات.. حتى حمزة البسيونى فإن الله هوالذى قتله شر قتلة، انتقم القدر منه.. فكل الأحداث التى نسبت إليهم لها مبرراتها ومعظمها حوادث وطنية.

مقتل السادات

* كيف تفسر ارتباط العنف ببعض فصائل الحركة الإسلامية فى مصر والجزائر والذى بلغ مداه – مثالا – فى مصر بمقتل السادات؟

– الحركة الإسلامية، أو الصحوة الإسلامية ليست فصيلا واحدا، دائما هناك فصائل عدة، وأنا اتحدث عن التيار الأوسع قاعدة، والأعرض جمهورا، والأقدم تاريخا، والأرسخ قدما، والأطول عمرا، وهو التيار المعتدل، التيار الوسطى، للأسف: جماعة التكفير والهجرة، الجهاد، الجماعة الاسلامية هى جماعات محدودة العدد، ومساحتها محدودة، ولكن للأسف الإعلام هو الذى يضخمها لحاجة فى نفس يعقوب! وليس لها انتشار فى الشعب، ولكن ضخم هؤلاء دورهم ومعظم هذه الجماعات بدأت فى الصعيد وأنتم تعرفون أن الصعيد له خصوصيته، فى أنه لا يقبل الضيم أو الأهانة، فكيف تأخذ واحدا من بيته وتصفعه. . هذه فيها دماء أو تهين أمه أو أباه وهذا كان يحدث.

* أذن عنف السلطة هو الذى بدأ فى مصر فى عصر السادات؟

– نعم. . عنف السلطة بدأ فى عصر السادات، وبعض الناس تم الاعتداء عليهم فى المسجد، وكانت هذه الجماعات مهيأة – التربة صالحة – ولذلك فأنهم كانوا يتهمون الإخوان انهم خانوا مبدأهم، فقد دعوا للجهاد والآن تركوا مبدأ الجهاد، وكثيرا ما كانت تحدث بينهم وبين الأخوان معارك بالجنازير فى أسيوط والمنيا. . فى الصعيد بالذات التى نمت فيها حركة العنف، والسلطة ايضاً لم تحسن معاملة هؤلاء كما ينبغى. . ظنت أن المعالجة الآمنية هى المعالجة الوحيدة ولكن العقلاء والحكماء كانوا يرون ان المعالجة الفكرية كان يجب ان تكون قبل المعالجة الأمنية. . ولذلك كاد الحكماء يصلون الى حل مع هؤلاء الشباب حينما كان يذهب اليهم فى السجون الشيخ الغزالى ود. عمارة وهويدى، واتفقوا معهم على أشياء. . لكن السلطة رفضت هذا، فالسلطة أيضا دفعتهم للاستمرار فى هذا العنف.

اتهام القرضاوى والغزالى

* ما رأيكم فى الاتهام الموجه الى فضيلتكم وإلى الشيخ الغزالى فى أنكما السبب فى صعود ظاهرة العنف فى الجزائر؟

– كان معى اليوم (الأربعاء ١٩ / ١ / ٢٠٠٠) القائم بأعمال السفارة الجزائرية فى الدوحة زارنى فى المكتب، وكان من حديثه معى ان الشيخ الغزالى هو أول من دعا الى الاعتدال. وكان التيار الغالب على الصحوة الإسلامية فى الجزائر هوتيار الاعتدال، وتوّج هذا اعتراف السلطة بإنشاء حزب سياسى اسلامى، ولذلك ذهبت مع الشيخ الغزالى رحمه الله خصيصا لنلقى الشاذلى بن جديد ونشكره ونحييه على هذه الخطوة الشجاعة بالسماح للإسلاميين بالعمل السياسى، وتحدثت عن ذلك صحف وإعلام الجزائر. . ونحن نريد أن نثبت هذا. .

وقد قلت لبعض ضباط الآمن الذين زارونى فى القاهرة، سألونى عن رأيى فى الإخوان قلت: الإخوان طلقوا العنف، قالوا لكنهم يقيمون تنظيما على خلاف القانون، قلت: ولماذا تلجئونهم إلى أن يعملوا تنظيما، اسمحوا لهم ان يقيموا تنظيما علنيا، على مرأى منكم، أهم قادمون من خارج الوطن أم نابعون من تراب أرض مصر، لماذا لا يكون لهم الحق مثل غيرهم، ويعملون كالآخرين. . لذلك، فان خطوة رئاسة الجمهورية فى الجزائر – حينما اتخذت هذه الخطوة – كانت خطوة مشكورة. . وقد اشتغل الاسلاميون فى المجال السياسى على أساس اللعبة الديمقراطية ورشحوا أنفسهم فى البلديات ثم رشحوا انفسهم فى المجلس الوطنى وأخذوا الأغلبية، ولكن هم الذين قطع عليهم الطريق، ولم يسمح للشعب أن يختار ما يشاء، وذلك بفعل المؤسسة العسكرية، على كل حال نرجو للجزائر فى عهدها الجديد أن توفق ويوفق قانون الوئام المدنى هذا ليستوعب فئات الشعب الجزائرى وتحدث مصالحة. . وهذا ما نأمله فى عهد الرئيس بوتفليقة، ونسأل الله أن يعم السلام والاستقرار فى الجزائر التى اهتم بها اهتماما خاصا.

الشباب المسلم فى القرن الجديد.

* ما هى الصورة التى تود أن يكون عليها الشباب المسلم فى القرن الجديد؟ هل ولَى عصر الانتماء إلى جماعة معينة؟ ما هى صورة التربية التى يجب أن يربى عليها هؤلاء الشباب؟ هل صورة الحزب السياسى فى المجتمع هى الصورة المثلى؟

– أرى أن العمل لخدمة الاسلام ونصرة قضاياه فى هذا العصر لا يتم بالعمل الفردى ولا بالجهود المبعثرة، لابد من عمل جماعى، والعمل الجماعى فى نظرى فريضة وضرورة: فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، الدين يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعا ولا نتفرق «وتعاونوا علىى البر والتقوى»، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» و «يد الله مع الجماعة»، «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية». فلا دين يأمرنا بأن نتجمع حتى نؤثر، والآن فى الاقتصاد هناك ما يسمونه (الانتاج العريض) فالإنتاج الصغير ما عاد يستطيع أن ينافس وأن يقدر على عمل شىء أمام القوى الكبرى المنتجة، وأيضا العمل الإسلامى فى حاجة الى عمل عريض وكبير ولذلك أقول: إن الواقع أيضا يحتم علينا هذا، أن نحقق أهدافا كبرى تحرر الأوطان المستعبدة، تقاوم الأخطار الأجنبية، توحد الأمة الممزقة تحقق آمال الأمة فى العدالة الاجتماعية، فى الحرية، فى إقامة نظم شورية ترعى حقوق الإنسان وحرماته. وهذا لا يمكن أن يتحقق بعمل فردى أو بجهود ضعيفة.

لذلك نرى غير المسلمين خصوم الإسلام يعملون بشكل تكتلات، قوى كبيرة، مؤسسات، لا يعملون فرادى، جماعات وجمعيات، فكيف نبقى نحن نعمل وحدنا، خصوصا أننا نحمل هموم أمة كبرى، وقضايا التخلف وقضايا التمزق وقضايا الضياع هذه لا يمكن أن تتم إلا بعمل جماعى، ولكن المسلم عليه أن يختار الجماعة التى يعمل من خلالها.

الجماعة المثلى

* هل لابد من جماعة للعمل إذاً، وما هى صورة هذه الجماعة المثلى؟

– العمل الجماعى يعنى ان تنشىء جمعية أو مؤسسة أو رابطة أو اتحاد.

* ليس شرطاً إذاً، أن يكون العمل الجماعى سريا؟

– بالعكس يجب أن يكون العمل علنيا، فالأصل فى العمل أن يكون علنيا، وكل ما نشكو منه السرية ولذلك نقول لماذا تجبرون العمل الاسلامى على أن يعمل سرا، دعوه يعمل فى الهواء الطلق، افتحوا النوافذ لتهب منها النسمات.

لذلك كنت من أشد الناس الذين فرحوا بالعمل العلنى فى النقابات مثلا فى مصر، والعمل من خلال اتحادات الجامعات، واتحاد هيئات التدريس، واتحادات الطلاب. . لكن للأسف السلطات لم تقبل هذا، وحاربته، وأرادت أن يُحرم العمل الإسلامى من أن يعمل كغيره، سدت عليه الأبواب وأغلقت عليه الطرق.

* هل كانت السرية هى البديل؟

– نعم لذلك أرى أنه لابد من عمل جماعى وعلنى وأمام الناس.

* وإذا رفض فهل البديل هو العمل الجماعى السرى أم العمل الفردى؟

– العمل الفردى لا يجدى فكيف تستطيع أن تقف أمام المنظمات الصهيونية وحركاتها أو الماسونية وألاعيبها أو الماركسية وجماعاتها أو الفلسفات المختلفة وهى تعمل بشكل منظم لمؤسسات. . لابد أن يعمل الجميع بتعاون فى شكل ما، مؤسسات ثقافية لمن يعمل فى الثقافة، اقتصادية لمن يعمل فى الاقتصاد، خيرية لمن يعمل فى الخير، تربوية لمن يعمل فى التعليم. . كل واحد يعمل فى الجهة التى يحبها.

* يقول البعض لابد من حركة عالمية تستوعب جميع الحركات والجماعات فى العالم. . فكيف يمكن أن بتحقق ذلك؟ وهل يمكن – إذا لم تقم تلك الحركة العالمية – أن تتعدد الجماعات والحركات فى رأيكم؟

– هذا حلم، لكنه ليس واقعيا، وليس ممكنا ان نجمع الناس فى جماعة واحدة أو حركة واحدة، فالناس يختلفون فى الأهداف، وفى ترتيب الأهداف